المشاركة في الملتقى الدولي الأول: القضية الفلسطينية في الأدب الجزائري الحديث و المعاصر
المنظم من طرف قسم اللغة و الأدب العربي،كلية الآداب و اللغات ،جامعة الجيلالي بونعامة ،خميس مليانة ،يوم: 11 نوفمبر 2023

عنـــوان المداخلـــة :حضـــور القضـــية الفلســـطينية في الشـــعر الجزائـــري المعاصـــر،ديوان "العيـــد و القـــدس و المقـــام" لمحمد مصطفى الغماري أنموذجا

إعداد:الدكتورة إيمان برقلاح
البريد الإلكتروني:imenberguellah2020@gmail.com
الجامعة الأصلية: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة.

ملخص:

تعدّ القضية الفلسطينية من أبرز قضايا الأمة التي حظيت باهتمام الشعراء والأدباء القوميين والوطنيين، الذين تناولوها بجميع مفاهيمها التاريخية والأدبية والدينية، فهي أرض مباركة مقدسة، مهبط الأنبياء والرسل ،ومستقر السلام.

و قد اكتست القضية الفلسطينية طابعا جماليا ،لونته الصبغة الإيحائية التي تثير في النفس الإنسانية الشعور بالعاطفة فتجسدت في حب الجزائريين عامة والشعراء خاصة لهذه القضية العادلة،والإصرار عليها .

من هنا جاءت هذه الورقة البحثية لتميط اللثام عن **حضور القضية الفلسطينية في الشعر الجزائري المعاصر** من خلال **ديوان "العيد و القدس و المقام"لمحمد مصطفى الغماري** ،الذي أعطى هذه القضية بُعدا فنيا خاصا داخل نصه الشعري من خلال حديثه عن رمزية الأماكن المقدسة ،و رمزية الشخصيات التي تعبر بحق عن القضية الفلسطينية.

الكلمات المفتاحية:القضية الفلسطينية ،الشعر الجزائري المعاصر ،محمد الغماري،المكان ،الشخصيات.

Abstract:

The Palestinian issue is one of the nation's most prominent issues that has received the attention of national and patriotic poets and writers, who have dealt with it in all its historical, literary and religious concepts. It is a blessed and holy land, the landing place of prophets and messengers, and the resting place of peace.

The Palestinian cause has acquired an aesthetic character, colored by a suggestive tone that arouses in the human soul a feeling of emotion, embodied in the love of Algerians in general and poets in particular for this just cause, and their insistence on it.

Hence, this research paper came to reveal the presence of the Palestinian issue in contemporary Algerian poetry through the collection “Eid, Jerusalem, and Maqam”

by Muhammad Mustafa Al-Ghamari, who gave this issue a special artistic dimension within his poetic text through his talk about the symbolism of the holy places, and the symbolism of Personalities who truly express the Palestinian cause.

Keywords: The Palestinian issue, contemporary Algerian poetry, Muhammad Al-Ghamari, place, characters.

مقدمة:

تدلّ القضية الفلسطينية على جميع ما يتصل بفلسطين شعبا وأرضا وحضارة ،وهي تواجه مع وطنها العربي ،ودائرة حضارتها الإسلامية تحالف قوى الهيمنة الغربية مع الصهيونية العنصرية في غزوه لها بغية اغتصابها وجعلها وطنا قوميا لليهود على حد تعبير تصريح بلفور ،و قاعدة استعمارية عنصرية استيطانية للتسلط على الوطن العربي والعالم الإسلامي عامة... والقضية الفلسطينية قضية جهاد الشعب العربي الفلسطيني لتحرير وطنه المحتل ،واستمر هذا الجهاد طيلة مرحلة الاستعمار البريطاني الذي انتهى يوم 1947/05/15م،و واجه فيه الشعب العربي الفلسطيني العدو المزدوج بريطانيا والحركة الصهيونية مدافعا عن البيت المقدس والوطن والعرض والمال وحضارته العربية الإسلامية والدين ،واتبع فيه مختلف الوسائل القانونية والسياسية والانتفاضات والثورات مثل: " ثورة براق " و"ثورة القسّام " والثورة العربية الكبرى بين عامين 1935م و1937م، وقد حضي هذا الجهاد بمساندة أبناء الأمة العربية والعالم الإسلامي، الذين أدركوا أن تحالف قوى الهيمنة الغربية والصهيونية لم يستهدف فلسطين بذاتها فحسب، وإنما للسيطرة على العالم العربي وديار الإسلام[1].

و هذا ما دفع كثيرا من الشعراء العرب إلى التفاعل مع القضية الفلسطينية من داخل فلسطين و خارجها أمثال : محمود درويش ،سميح القاسم،عمر أبو ريشة، نزار قباني،إلى غير ذلك من الأسماء ،فسجلوا الأحداث الدامية و المحن السياسية التي تشهدها هذه الأرض الطاهرة مع العدو الصهيوني،و كان شعرهم بمثابة مرآة عاكسة لأحوال الفلسطينيين،و فظاعة التعذيب الجسدي و النفسي الذي يتعرضون له.

و يعتبر الشعراء الجزائريون أيضا من الذين سعوا من وراء شعرهم إلى إبراز قضية فلسطين العادلة ،و تبيان مظاهر الظلم والقهر ،وعرض الحقائق التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني كاملة، فوثّقوا فيه حقائق تاريخية لتعزيز الوعي العالمي، وتعزيز التضامن والتأثير الإنساني ،وتأكيد الهوية الوطنية للفلسطينيين.و من بين الأسماء البارزة نجد محمد مصطفى الغماري ،الشاعر الجزائري الذي جعل من شعره لسانا ناطقا عن القضية الفلسطينية ،و تجسيدا لمعاناة وصمود الشعب الفلسطيني في مواجهة الظلم والاحتلال الإسرائيلي. فشكّل شعره نموذجاً للصراع العادل ضد الظلم والتمييز العنصري .

بناء على ما سبق ،كيف تجلت القضية الفلسطينية في شعر الغماري؟ و هل صوّر شعره فعلا معاناة الفلسطينيين؟ و إلى أيّ مدى استطاع شعره أن يحيط بأبعاد القضية الفلسطينية؟

ينتمي الشاعر " محمد مصطفى الغماري"[2] إلى شعراء السبعينيّات الذين عرفتهم الساحة الأدبية والشعريّة الجزائريّة المعاصرة

ويعود توجّهه الديني إلى انتماءه إلى أسرة متديّنة لها عناية خاصّة بالثقافة العربيّة الإسلاميّة، فانعكست على شخصيّته وكتاباته فأبدع، "حيث حوّل القيم الروحيّة للإسلام إلى مادّة شعريّة تعبّر عن رؤيته الفكريّة وبشكل شعريّ مغاير أظهر قدرة في امتلاك الأدوات الفنيّة التي لم يمتلكها كثير من شعراء جِيلِه، أو على الأصح شعراء الحركة السبعينيّة"[3].

و يعتبر ديوان "العيد والقدس والمقام" صورة حيّة ،عبّر من خلالها الغماري عن مدى تعلقه بالقضية الفلسطينية لأنها جزء من عروبته و إسلاميته .و تأكيد ذلك تأثُّره بلغة القرآن و استخدامه للرّموز الدينيّة ،التي تؤكّد البعد الديني للشاعر و إيمانه بأن القضية الفلسطينية قضية كل المسلمين، فلغة "الغماريّ" مشبّعة بهذه الآثار، حيث أنّه "لم يكن استحضار الرّمز الدّيني بالنّسبة لشاعر مثل "مصطفى الغماري" مجرّد احتفاء بالتراث ورموزه إنّما نابع من صميم التّجربة ومن باطن الذّات الشاعرة الباحثة عن التّغيير والمتشبثة بالرؤى التفاؤليّة، بل إنّه يظلّ ملمحا بارزا في ثوريّتها الطامحة "[4]، فالشاعر عندما استعان بالقرآن الكريم والتاريخ الإسلاميّ، استقى منهما الكثير من الرّموز، لتكون معادلا موضوعيّا و أداة موحية ومعبّرة عن الواقع المرير الذي تعيشه فلسطين، وانتفاضة قويّة في وجه المستعمر الغاشم، وصيحة مدوّية تَكْسِرُ الأغلال، فتُعِيدُ للأمّة الإسلاميّة مجدها، فتهنأ بقدس مستقلّ، ومستقبل زاهر.

إن القارئ الفاحص لما كتبه الغماري في ديوانه"العيد و القدس و المقام" سيلمس جليا معظم تمظهرات القضية الفلسطينية و أبعادها و التي سنتتبعها بُعدا بُعدا فيما يلي.

1. رمزيّة الأماكن المقدّسة:

حفلت قصائد" العيد والقدس والمقام" برموز معظمها يدلّ على الأماكن المقدّسة، وهذا بيِّنٌ من عنوان الديوان، الذي يحمل مَعْلَمَيْنِ مهمّيْن لدى المسلمين ومختلف الديانات الأخرى، هما: القدس، والمقام الإبراهيمي الشريفين.

1.1. القدس الشريف:

القدس هي محور الدراسة وكل مكان في القدس له حكايته الخاصة به، هي حكاية شعب ناضل من أجل تحرير بلاده من المستعمر الغاشم، هي حكاية شعب فلسطيني ثار من أجل حبه وغيرته على بلده، هي حكاية أرض ووطن تمسك به الشعب الفلسطيني.

"القدس هي الأرض والوطن، وحضورها دائم في كل فن وأدب شعرا ونثرا، هي مدينة القداسة والجمال والتاريخ. هي المكان الذي وإن لم يعش فيه الفلسطيني لغربته داخل وطنه بسبب الحواجز، وإجراءات الاحتلال أو خارج الوطن بدافع الهجرة القسرية لأسباب سياسية أو اقتصادية"[5].

ولهذه البقعة المقدسة عدّة تسميات منها "أورسالم" وقد سماها اليبوسيون نسبة إلى الإله سالم إله السلام عند الكنعانيين وأطلقت عليها التوراة أسماء "مدينة الله" و"شاليم" مدينة القدس و"مدينة العدل" و"مدينة السلام" و"يبوس" أو مدينة اليبوسيين. كما ورد في القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم عدّة تسميات للقدس مثل: بيت المقدس، والأرض المباركة وأرض الإسراء والمعراج، وأرض الرسالات، ومهبط الأنبياء، وأولى القبلتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين الشريفيين[6].

وكل هذه الأسماء تدل على شيء واحد وهو مكانة القدس العظيمة في العالم كله وذكرها في الكتب والأحاديث النبوية والقرآن الكريم يدل على مكانتها المقدسة في الإسلام.

بقيت القدس إحدى الوسائل الموضوعية والفنية التي استعان بها الشعراء العرب المعاصرون، وهم يتحدثون عن فلسطين وفي اليوم الذي وقعت فيه فلسطين عام 1967م في يد المغتصب الصهيوني، التفت إليها الشعراء وجعلوها محور أشعارهم، كل بطريقته وأسلوبه وتوجهه الفني والفكري[7]. وجاءت قصائد القدس كأنها اتفاق مسبق بين شعراء وأدباء الأمة على تقديم إبداعهم من أجل مواصلة النضال ضد الوجود الإسرائيلي بهذه القصائد[8]. ومنذ اليوم التي وقعت فيه فلسطين إلى يومنا هذا أصبحت قضية فلسطين قضية الأمة العربية وشغلهم الشاغل في تحريرها وبات شعر القدس عنوانا رئيسيا للشعراء وموضوعا للباحثين[9].

و يعدّ الشاعر محمد مصطفى الغماري من أبرز الشعراء الجزائريين المعاصرين الذين تبنوا القضية الفلسطينية معلنا عن حبه وغيرته على القدس التي تعاني الألم والقهر من الصهيوني الظالم.

يقول الغماري في إحدى قصائده وهي "يولدُ الثّأر من رفات الشّهيد" :

«أيُّ عذْرٍ لنا هب الشّعْبَ أقْوَا * تًا ومُصْفَى الكِلَابِ مِنْ أَقْوَاتِهِ

أَيُّ عذْرٍ وإنْ تمـــــرّغَ بِالعُتْبى * وأبدى الفُضُولَ منْ حسراتــه

أَيُّ عُذْرٍ لِقاتِلِي أَلَمِ القُـــــدْ * سِ ويَا وَيْلَ قَاتِلِي آيَاتِـــــهِ»[10]

حيث يلوم الشّاعر الذين كانوا سببًا بما يجري في "القدس"، ويتَّهِمُ في ذلك الرّؤساء والحكّام العرب، ويرى بأنّه لا عذر لهم ليُبرِّروا خطاياهم التي تسبّبت في معاناة ألم الشعب الفلسطيني.

وفي قصيدته "لا تنامي يا أمّتي" يوظّف كذلك الغماري رمز "القدس" في قوله:

«وَيْحَ منْ يتّقي بِكِلْتَا يديْهِ * مارِجَ الغدرِ من رصاصِ الطَّغَامِ

أيُّ داء ما بعد دائِكِ أدْوَى * أيُّ شِربٍ يُدَافُ بعد السِّمَامِ؟؟

أمّتي إن نَنَمْ عن الثَّأرِ ما كنَّا * لقُدْسٍ نُعزَى ولا لِمقَـــــامِ»[11]

إنّ الشاعر يُعاتِب أمّتَهُ لغفلتها عن واجب استعادة ما هو حقّ للمسلمين، فلو تمسّكت الأُمّة بالقضية وناضلت من أجلها لما وصلت إلى ما هي عليه من دمار ونهب وانتهاك للأعراض.

ويقول أيضا في قصيدة "العيد والقدس والمقام" وهو يرثي "القدس" :

« يا عيدُ والقُدسُ-جلَّ القدسُ- ما برِحَتْ * مآذِنُ القُدسِ نهبَ الموحِشِ الكلِبِ

أُبايِـــــعُ اللّه فيها.. مازَكَتْ شفَـــــةٌ * بسورة الحبِّ من قُرْآنِي العجَـــبِ

أُبايِـــــعُ اللّه.. غيرُ الحبِّ ما حمِـــــلت * روحي وفي غير ذاتِ اللّه لم تذُبِ »[12]

يصِفُ الشاعرُ الوضعِ المأساوي الذي انتهت إليه "القدسُ" وعظمتها التي لم تسلَم من نهب وشرِّ الاحتلال الصّهيوني حتى وهي على أبواب العيدِ.

إنّ "القدس" من الرموز والقضايا الحسّاسة لدى الشاعر، التي تكلّمَ وأطال فيها فأجاد وأبدع، وغايته —من توظيفه هذا الرّمز- استنهاض الهمم، لِتَقِفَ الأمّة الإسلاميّة وقفة رجل واحد فيُعيدوا للقدسِ مكانتها وتُستَرَدُّ لأهلِها ومستحِقّيها.

2.1. المقام الإبراهيميّ:

ويسمّى أيضا ب"الحرم الإبراهيميّ الشريف" و المسجد الإبراهيميّ" ،وتطلق عليه اليهود اسم "مغارة المكفيلة"، يعدُّ رابع الأماكن المقدّسة بالنسبة للمسلمين، وثانيها عند اليهود.و تكمن قدسيّته كونه المكان الذي دُفِنَ فيه عدد من الأنبياء وزوجاتهم وأولادهم، وعلى رأسهم إبراهيم الخليل عليه السّلام.

وقد شهِدَ هذا الحرم في المنتصف من شهر رمضان 1414هـ الموافق ل25 فيفري 1994م، مجازر تسبّب فيها مستوطن إسرائيليّ كان يُبْدي الكُره والحقد للمسلمين، ففي صبيحة ذلك اليوم دخل المسجد الإبراهيميّ، وأطلق على المصلّين، وهم ساجدون وابلا من الرصاص، زُهِقت على إثرها العشرات من الموتى، والكثير الكثير من الجرحى، فيقول فيهم الشاعر مستعينا برمز "المقام" في قصيدته "يا ضحايا المقام":

«يَا ضَحَايَا المقام جَلَّ مقامٌ * لِنَبِيٍّ وجلَّ كِبْرُ الشّهيدِ»[13]

وصف الشّاعر جلالة وعظمة "المقام الإبراهيميّ" بالأنبياء الذين دُفِنوا في ذلك المكان من ناحية، وبارتقاء أرواح الشهداء وهم ساجدون من ناحية أخرى.

ويقول في مقطع آخر:

« يا ضحايا المقام لجَّ بيَ القه * رُ وقَهْرُ الزَّمَان شَرُّ القِيـــد

ليتَنِي كُنْتُ بيْنَكُم فَيَفُوزَ ال * قَلْبُ بالمطلَقِ البعيدِ البعيـدِ

ليتَني والزّمان أكبَرُ من لَيْ * تَ وأعْصَى على قَوافي القَصِيد»[14]

يتمنّى الشاعر في هذه الأبيات لو أنّه كان من بين الذين استشهدوا في ذلك الفجر وقرآنه يتلو على مسامعهم، ساجدين للّه العزيز العليم، فيشعرُ بالقهر والأسى لأمْرِهِ ويتحسّر.

ليُنهي قصيدته وهو ينادي ضحايا المقام مرّة أخيرة فيقول:

« يَا ضَحَايَا المقام..مَا عُبِدَ اللّهُ * بأهدى من الجِهادِ المجيـدِ

فهَنِيئًا شَهَادة الأ لَمِ القـــــــد * سِ وَبُعْدًا للسَّامرِيِّ البعيد»[15]

حيث يدعو الشاعر من خلال رمزه "المقام" وضَحَايَاه إلى إعلان الجهادِ الذي يعدُّ عند اللّه من أعظمِ الطّاعات. قال تعالى: ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وثِقَالًا وجَاهِدوا بِأَموالِكُم وأنفُسِكُم في سبيلِ اللّه ذَلِكُم خيْرٌ لكُم إنْ كنتُم تعلَمون﴾ [16] ويقول عزّ وجلّ في سورة عن الجهاد: ﴿كُتِبَ عليكم القِتَالُ وهو كُرهٌ لكم﴾[17]

ليكون بذلك "المقام الإبراهيميّ" من أكثر الرموز التي ألهمت الشاعر فتكرّرت بشكل مُلفِت في قصائد "الغماري" بعد رمز "القدس الشريف".

3.1. مدينة الخليل[18]– يافا[19]:

تعدّ مدينتا "الخليل" و "يافا" من أقدس الأماكن في فلسطين، التي لها أهميّة دينيّة كبيرة لدى المسلمين، وقد وظّفهما "الغماري" في قصائده كرمزين يدلّان على الصّبر والنّضال، ومن جهة أخرى يُعتبران رمزين لمعاناة الشعب الفلسطينيّ، وما يُكابدونه تحت ظلم المستعمر. يقول الشاعر في قصيدته "يولد الثّأر من رفات الشهيد" موظّفا رمز "الخليل":

« يَا سَمَاء الخليل" لا كُنتِ إلّا * وردة من دَمٍ على سَاحَاتِهِ

هَانَ كِبْرُ الخَليلِ إذْ نُهِبَ الدّرْ * بُ وبَالَ اليَهودُ في عَرَصَاتِهِ

وَشَفَوْا غيْظَهُم وَمَاذَا عليهم * والقتِيلُ الأميُّ في صَلَوَاتِهِ »[20]

في هذه الأبيات يبكي "الغماري" على أطلال مدينة "الخليل"، وقد حزنت السماء عليها بما يجري فيها، إذ يُعدُّ استعباد اليهود للأرض وتهجير أهلها منها إهانة للمدينة المقدّسة.

كما نجِدُ الشاعر يُكرّر توظيف رمز "الخليل" مقترنا مع رمز "يافا" في قصيدته "العيد والقدس والمقام" حين يقول:

« فِدى المقَام حياةٌ دُونَهَا مدَدٌ * من المعاناة أحيَا عُرسَهَا العــربيّ

على الخليل على يافَا و إن قَتَلُوا * أبي فما غاب عن عينيَّ وَجْهُ أبي

أنا السّجِينُ على عصرٍ أقَادَ بِهِ * مَا كَانَ ذنبِي إلّا صَفْوَةُ النّسَبِ »[21]

يتحدّثُ الشاعرُ عن ذكرى استشهادِ أهلِهِ في مدينتي "الخليل" و "يافا"، ويُشبّهُ موتَ الكثيرِ من الضحايا الأبرياء بالسجين المحكَمِ عليه بالإعدام.

مما سبق نخلص إلى أن المكان في شعر الغماري قد انزاح من معناه الجغرافي إلى معنى آخر محمّل بدلالات مكثفة تجعله رمزا مقدسا له "عميق الأثر في الحياة البشرية ،إذ ما من حركة إلا و هي مقترنة به،و ما من فعل إلا وهو مستوح لبعض دوافعه منه ،و هو أعمق و أكبر... "[22]،إنه المكان الناطق بالقضية الفلسطينية،قضية الكفاح و الصمود.

2. رمزيّة الشخصيات :

1.2. موسى عليه السلام:

اعتمد الشاعر من خلال توظيف الرّمز الديني على قصص الأنبياء، فاستدعى شخصيّات الأنبياء، واستقى من هذه الأخيرة أهمّ الدلالات الإنسانيّة والفنيّة بما يخدم تجربته الشعريّة، وأهم شخصيّة وردت بكثرة في نصوصه هي نبيُّ اللّه "موسى عليه السّلام"، يقول في قصيدته "يُولَدُ الثّأرُ من رُفاتِ الشهيد" موجها كلامه للحكام العرب:

« لَعِبَ الحَاكِمونَ بالجُدِ لا مَجْ * دَ سِوَى حاكِمٍ بأمرِ عِدَاتِـــــهِ

... وَتَوَلَّوْا ومُذ تولّى على الدَّرْ * بِ الطّواغِيتُ سِيمَ خَسْفُ وُلَاتِهِ

لَكَ مَا شِئْتَ يَا يَهُوذَا فلَا فِرْ * عَوْنُ يُخْشَى وَلَا حَدِيدُ كُمَاتِـــهِ

فُــلَّ عَنْهُ الحَدِيدُ فانفَلَقَ البَـــحْ * رُ وَغَاصَ الشَّقِيُّ فِي ظُلُمَاتِـــهِ

روَّضَتْهُ العَصَا وَلَا آيَة تَسْ * عَى وَيَا رُبَّ عاثِرٍ فِي أنَاتِـــــهِ»[23]

يتحدّث "الغماري" في هاته الأبيات عن الحكّام العرب الذين لا يُبدُون أيّ ردّ فعل اتّجاه القضيّة الفلسطينيّة، بل ولهم يد فاعلة في ذلك، إذ إنَّ تقاعسَهم يمنَحُ لليهود فرصة التّمادي في أفعالهم، ويُذكِّرُ الشاعر هؤلاء الحكّام الطواغيت ب"فرعون" ذلك الحاكم الذي عُرِف بِبَطْشِهِ وَظُلْمِهِ واستِعْبَادِهِ للنّاس، فقد طارَدَ هذا الأخير المسلمينَ وأرادَ أن يمحوهم من على وجهِ الأرضِ وفي ذلك اليوم المشهود شُقَّ بحرُ النّجاة الى نصفين بضربة من "العصا" التي كانت بحوزة "موسى" عليه السّلام وبتأييد من اللّه قال تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إلى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ البَحْرَ فانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ العَظِيمِ﴾[24] وعندما أوحى إليه ربُّه أن اضرب بعصاكَ للمرّة الثانية عاد البحر إلى حاله الطّبيعي وغرِقَ فرعون والذين كفروا، قال تعالى: ﴿ وأنجينا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أجمَعينَ۞ ثمّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ۞ إِنَّ فِي ذلِكَ لآيَةٌ وَمَا كانَ أَكْثَرُهُم مُؤمِنينَ﴾[25]

ويقول "الغماري" في قصيدته "يا ضحايا المقام":

« قُتِلَ القَاتِلُونَ حِينَ دَمُ الطُّهْ * رِ مُبَاحٌ للسّامِرِيِّ المرِيـــــــد

قُتِلَ القَاتِلُونَ حِينَ جِيَادِي * مُتَخَنَّاتٌ مِنَ الرَّصَاصِ الحَقُودِ

قُتِلَ القَاتِلُونَ مَا أغْرَبَ التَّا * ريخَ أنْ قِيدَ مِنْ دَمِي لليَهُود» [26]

في هذه الأبيات يُحِلُّ "الغماري" دم الكَفَرَة الصهيونيّين حينما سفَكوا دِمَاء المسْلِمون، وهم سُجّدا بل دَمُهُم مُباح كيومِ أُباحَ دمُ بني إسرائيل حين غواهُم "السّامريُّ" فعَبَدوا عجلًا من ذهب، كانَ قد صَنَعَهُ لهم وضَحِكَ عليهم.

لِيُذكَرَ الرمزين "موسى" و "السّامريّ" مجتمعيْنِ مرّة أخرى في قصيدته المعنونة ب "كلُّ طفلٍ عماد" حين قال:

« لَيْسَ للسَّامِرِيِّ غيْرُك يا مُو * سَى ومَا للنِّفاقِ إلَّا الجِهادُ» [27]

ويقصد الشاعر بأنّنا لن نتغلّب عن العدوِّ الصّهيونيّ إلّا بالجهاد مثلما يتغلّبُ الإسلام ويرمزُ إليه بالنَّبِيِّ "موسى عليه السّلام" على الكُفرِ ويَرْمُزُ إليه بالسامريِّ، والحقِّ على الباطِلِ.

2.2. الشّهيد "عماد عقل"[28]:

يُواصِلُ الشاعر استدعاء الشخصيّات الدينيّة التاريخيّة، لكن هذه المرّة ليست نبيّا، وإنّما شخصيّة إسلاميّة معاصرة ارتبطت بـــ "القدس الشريف"، ألا وهو الشهيد "عماد عقل".

يقولُ "الغماري" في مطلع قصيدته موظّفا رمز "عماد" التي تحملُ اسمَ الشّهيد نفسه "عماد عقل":

« كُلُّ طِفْلٍ يا قُدْسُ فِيكِ عِمَادُ * فَدَعِي الوَهْمَ وازْكَبِي يَا جِيَادُ

واحْمِلي يَا بقيّـــــــةَ اللّه فِينَا * عُرْسَ مجْدٍ تَعْنُو لَهُ الأمجادُ

واحْمِلِي من دماء كلّ شهيـــدٍ * قبسًا ضَاءَ فازدهَت آبَادُ »[29]

شبّه الشّاعرُ كلّ طفل بـــ"عماد" ليقْتَدوا به، ولبثّ الشجاعة والعزيمة في نفوسهم، فيَهُبُّوا للجهاد، لأنّه كما قيل "ما أُخِذَ بالقُوّة لا يُستَرجَعُ إلّا بالقوّة".

ويقول "الغماري" في القصيدة نفسها:

« فأَطَلّي حوْرَاءُ مِنْ رَفْرَفِ الخُلْ * دِ أَقِلّي الهوَى فَهَذَا عِمَادُ

أبَدِيٌّ عُرْسُ الشّهِيدِ على الخُلْ * دِ وحِنَّاؤُهُ دَمٌ وضِمَـــــادُ

أَبَدِيٌّ فلَا تَنَمْ حَامِلَ النّـــــأْ * رِ فَمَا دُونَ تَارِك استِشهادُ »[30]

يُبشّرُ الشّاعرُ الشهيدَ "عمَاد" بمقامِهِ العظيم في الجنّة، وَلا شَكَّ أنّ الشهادة في سبيل اللّه والوطن مكرَمَةٌ جليلةٌ ولِأَصحَابِهَا أجرٌ وثَواب كبيرين، يقول نبيّ اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: « للشّهيدِ عِنْدَ اللّه سِتُّ خصَال يغفر له في أَوّلِ دُفْعَةٍ ويَرى مقْعَدَهُ من الجنّة ويُجَار من عذابِ القبر ويَأْمَنُ من الفزَعِ الأكبرِ ويُوضَعُ على رأسِهِ تاج الوَقَار الياقُوتة منها خير من الدّنيا وما فيها ويُزوّج اثنتين وسبعِينَ زوجَةً من الحورِ العين ويشفَعُ في سبعِين من أقاربه »[31]

"فالغماريّ" عندما أثنى على "عماد عقل" واستذكر بطولاته وتضحياته، إنّما غايته تحفيز الشّبابِ ودفعهم إلى المقاومة والجهاد. لذا يُعدُّ "عماد عقل" رمْزًا للعزيمة والإصرار والشجاعة والبَسَالة والتّضحيةِ.

خاتمة:

مما سبق،فإنّ القضية الفلسطينية كانت مرتسمة بكل تفاصيلها في شعر الغماري ،الذي يعدّ من أبرز الشعراء الجزائريين الملتزمين بقضايا أمتهم العربية الإسلامية،و هذا ما لمسناه من خلال عرضنا لمجموعة من النماذج التطبيقية التي عبرت بصدق عن رموز القضية الفلسطينية ،سواء تعلق الأمر بالأمكنة أو الشخصيات ،و هنا يمكننا إيجاز نتائج البحث فيما يلي:

- شكلت القضية الفلسطينية مرتكزا للإبداع إذ أصبحت من الموضوعات الفاعلة في النص الشعري.

- يعد موضوع القضية الفلسطينية عند مصطفى الغماري تجربة شعورية، وتصويرا للمأساة التي يعيشها أبناء الأرض المحتلة.

- برزت المقدسات الإسلامية بشكل لافت في شعر الغماري كالقدس والمقام الإبراهيمي،لأنها تمثل البعد الروحي الذي يكشف عن علاقة الشاعر بالقضية الفلسطينية.

- عمَدَ الغماريّ من خلال قصائِدِه الغنيّة بالرّموز إلى تحقيق أبعاد فكريّة إنسانيّة متعدّدة يأتي في مقدّمتها: إيقاظ الوعي وتربية الحسّ القوميّ والوطني، والانتماء العقدي.

- سعى الشاعرُ إلى تحقيق فرادة التجربة الشّعريّة، إذ أنّ قراءة أحاديّة للنّصِّ الشعريِّ للوصول إلى فحواه ضَرْبٌ من الخيال، بل يحتاجُ إلى تذَوُّقٍ للشّعرِ، ومعرفةٍ واسِعةٍ بالموروث الإسلامي.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

1- أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي وهو الجامع الكبير، تح. مركز البحوث وتقنية المعلومات، ط1 بيروت، لبنان، دار التّأصيل، 2014م، مج.03.

2- آمنة مقران، الرّمز في شعر مصطفى محمّد الغماري، رسالة ماجيستير في الأدب الجزائري الحديث، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، معهد اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2009-2010م .

3- تهاني سالم محمد أبو صلاح: الشعر الفلسطيني المقاوم ،رسالة ماجستير ،الجامعة الإسلامية ،غزة،فلسطين، 2004م.

4- حبيب مونسي :المكان في الشعر العربي،منشورات اتحاد العرب،دمشق ،سوريا،2000م .

5- رضا علي محمد لدادوة :القدس في الشعر الفلسطيني المعاصر ،رسالة ماجستير،جامعة بيرزيت ،فلسطين،2004م.

6- لطوف عبد الله: المجلة العربية للثقافة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،مجلة نصف سنوية، تونس، العدد64 2018م.

7- محمود حمدي زقزوق : موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة،القاهرة،مصر ،ط1 ، 1421هـ/2000م.

8- مصطفى محمّد الغماري، العيد والقدس والمقام، المؤسّسة الوطنيّة للاتصال والنّشر والإشهار،الرويبة، الجزائر، 1994م .

9- هيا جلال أسعد ناصر: القدس في الرواية الفلسطينية بعد عام 67 دراسة في الدال والمدلول: رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2017م.

10-الموقع الالكتروني www.mawdoo3

[1] ينظر : محمود حمدي زقزوق: موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، ،القاهرة،مصر ،ط1 ، 1421هـ/2000م، ص 455 ،456.

[2] مصطفى محمد الغماري من مواليد 16 نوفمبر 1948م بسور الغزلان _الجزائر_درس دراسته الثانوية في ليبيا أواخر الستينات ،حصل على شهادة الليسانس من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الجزائر سنة 1972م، عمل في قسم الآداب معيدا إلى سنة 1984م، نال شهادة الماجستير في الأدب العربي الحديث بدرجة مشرف جدا في أطروحة "الصورة الشعرية في شعر أحمد شوقي " سنة 1984م، ورقّيَ إلى أستاذ مكلف بالدروس في الأدب العربي. حصل على شهادة دكتوراه في أطروحته " المحاكمات بين أبي حيان والزمخشري وابن عطية فيما اختلفوا فيه من إعراب القرآن "للإمام العلامة أبي" زكريا يحي الشاوي المغربي" دراسة وتحقيقا سنة 2000م.و يعمل أستاذا بجامعة الجزائر منذ سنة 1977م.للباحث جانب إبداعيو آخر علمي أكاديمي.

[3] آمنة مقران، الرّمز في شعر مصطفى محمّد الغماري، رسالة ماجستير في الأدب الجزائري الحديث، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، معهد اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2009-2010م ، ص 21.

[4] المرجع نفسه، ص25-26.

[5] هيا جلال أسعد ناصر: القدس في الرواية الفلسطينية بعد عام 67 دراسة في الدال والمدلول: رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2017، ص 35، 36.

[6] رضا علي محمد لدادوة: القدس في الشعر الفلسطيني المعاصر ،رسالة ماجستير،جامعة بيرزيت ،فلسطين،2004م، ص 15-16.

[7] لطوف عبد الله: المجلة العربية للثقافة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مجلة نصف سنوية، تونس، العدد64، 2018م، ص 69.

[8] تماني سالم محمد أبو صلاح:الشعر الفلسطيني المقاوم ،رسالة ماجستير ،الجامعة الإسلامية ،غزة،فلسطين، 2004م، ص 34، 35.

[9] وأقدم قصيدة تناولت هذا الموضوع قصيدة "القدس" لإبراهيم طوقان، التي قالها في 1935/05/10 "بمناسبة التطاحن الحزبي" الذي تفشى في فلسطين آنذاك. وكانت القدس، بوصفها عاصمة البلاد مركز ذلك التطاحن يقول فيها:

دار الزعامـــــــة والأحـــــــزاب كـــــــان لنـــــــا قضـــــــية فيـــــــك، ضـــــــيّعنا أمانيهـــــــا

هـــــل تـــــذكرين وقـــــد جاءتـــــك ناشـــــئة غنيـــــــــة دونهـــــــــا الأرواح تفـــــــــديها.

إبراهيم طوقان شاعر فلسطيني قبل النكبة وهذه القصيدة تدور أحداثها حول التخلف وعدم وعي المجتمع (الأحزاب) فنجدهم نسو القضية الأساسية وهي القدس أصبح همهم الوحيد هو الزعامة.

[10] مصطفى محمّد الغماري، العيد والقدس والمقام، المؤسّسة الوطنيّة للاتصال والنّشر والإشهار ، الرويبة، الجزائر، ، 1994م ص15.

[11] المصدر نفسه، ص37-38.

[12] المصدر نفسه، ص28.

[13] المصدر نفسه، ص20.

[14] المصدر نفسه، ص22-23.

[15] المصدر نفسه ، ص24.

[16] القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية 41.

[17] القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 02.

[18] هي مدينة فلسطينيّة تقع في الجنوب من مدينة القدس، وعلى بُعدِ 35كيلومترًا منها، وهي أكبر المدن الفلسطينيّة من ناحية عدد السكّان والمساحة، كما تُعدّ أكبر مركز تجاريّ واقتصادي في الضفّة الغربيّة، تحوي الحرم الإبراهيميّ الشريف، وهو المكان الذي يوجد فيه مقامات الأنبياء (إبراهيم، يعقوب، إسحاق، وزوجاتهم عليهم السلام) وسميت بهذا الاسم نسبة إلى سيدنا ابراهيم عليه السلام، حيث أنّ الاعتقاد السائد عنه أنّه سكن المدينة في منطقة الحرم الإبراهيمي بعد أن هاجر من مدينة أور السومريّة ينظر: موضوع، www.mawdoo3، 2023/11/01، 20:38.

[19] تقع ببلديّة "تل أبيب"، فتحها عمرو بن العاص، كانت تعتبر قبل نكبة 1948م عاصمة فلسطين، بعد النكبة هجّر معظم أهلها العرب، يسكنها اليوم اليهود، وأقليّة عربيّة ومسيحيّة، اشتق اسمها من "يافث" الابن الثالث لنوح عليه السلام، أقامها و بناها الكنعانيّون قديما في فلسطين... موضوع، www.mawdoo3، 2023/11/01، 20:50.

[20] مصطفى محمّد الغماري، العيد والقدس والمقام، ص 15-16.

[21] المصدر نفسه، ص29.

[22] حبيب مونسي :المكان في الشعر العربي،منشورات اتحاد العرب،دمشق ،سوريا،2000م ،ص 7.

[23] مصطفى محمّد الغماري، العيد والقدس والمقام، ص12-13.

[24] القرآن الكريم، سورة الشعراء، الآية 63.

[25] القرآن الكريم، سورة الشعراء، الآية 65-66-67.

[26] مصطفى محمّد الغماري، العيد والقدس والمقام، ص20-21.

[27] المصدر نفسه، ص65.

[28] وُلِدَ "عماد عقل" بغزة في 19 يونيو 1971م (توفي في 24 نوفمبر1993م)، قائد عسكري وضابط في "مجموعة الشّهيد" وهي أولى مجموعات كتائب القسّام، التي كانت تعمل بشكل أساسيّ في قتل المتعاونين مع الاحتلال، ساهم في تسليح عدّة أفراد استعدادًا لتنفيذِ مهام نضاليّة، قام بعمليّات أهمّها: عمليّة مسجد "مصعب بن عمير" في "حيّ الزيتون" ب"غزّة"، فكانت أوّل عمليّة مصوّرة في تاريخ المقاومة الفلسطينيّة.

حاول جيش الاحتلال الإسرائيليّ عدّة مرات اغتياله ولم يفلحوا، إلى أن وُشِيَ بمكانه ذات صباح من طرف أحد العُملاء الذين تمَّ التّخلّص منهم في وقت لاحق. انظر: موضوع، www.mawdoo3، 2023/11/01، 14:05.

[29] مصطفى محمّد الغماري، العيد والقدس والمقام، ص63.

[30] المصدر نفسه، ص66.

[31] أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي وهو الجامع الكبير، تح. مركز البحوث وتقنية المعلومات، ط.01، بيروت لبنان، دار التّأصيل، 2014م، مج.03، ص91.